العذراء

تتلفت حولها وتتلمس طريقها في الظلام تكاد تسقط ، فقدماها المرتعشتان يوشكان عن التخلي عنها لتسقط . . تستند على أحد الحوائط المتهالكة ثم تتابع طريقها محاولة تذكر الطريق . فهي لن تستطيع أن تسأل أي أحد عن وجهتها ، تسترجع في ذهنها المشتت بعض العلامات التي وضعتها لنفسها في الزيارة الأولى لهذا المكان .

كوم القمامة الكبير في جانب الحارة تنعطف يميناً ثم يساراً وتسير في حارات ثعبانية ضيقة خانقة تشعر أنها قابضة على روحها تعتصرها . الأرض غير ممهدة كادت تتعثر عدة مرات ولكنها تكمل لمعت بعض العيون فارتعبت ودت الهروب ولكنها اندفعت لوجهتها . تكتم أنفاسها المتلاحقة وتدفع بجسدها البارد وتمسح بيديها قطرات عرق ، فجسدها المرتعش يفرز الأدرنالين بوفرة ولا يصاحبها إلا دقات قلبها المتسارعة التي أوشكت على التوقف .

وأخيرا وجدت وجهتها بيت متهالك لا يميزه إلا يافطة لاسم طبيب دخلت من فتحة . . فالبيت ليس له باب مجرد فتحة تخطو لتنزل إلى ساحة صغيرة . . . الأرضية ترابية قاتمة بها مربع أسمنتي مرتفع عليه غطاء حديدي تنبعث منه رائحة كريهة ، فأعادت كتم أنفاسها وخطت خطوتين لتصعد درجات سلم بالية تستند على الحائط الطوبى المترب لتتسخ يدها ولكن ما باليد حيلة فالسلم الخرساني ليس له سياج وهي تشعر بالدوار واحتمالات السقوط ممكنة ، تنظر إلى الضوء الأصفر الخافت المنبعث من العيادة وتصعد ببطىء وفى كل خطوة ينقبض قلبها وتريد الفرار من حيث أتت ولكن الطريق المظلم في الخارج ينتظرها فتجاهد خوفها وترغم قدماها على الصعود حتى وصلت إلى باب العيادة المغلق ورفعت يديها بحذر لتتطرقه ، ولكن شعرت بالخوف يتملكها وجسدها ينتفض ودَّت لو معها أحد يشجعها ولكن من ستبوح له بسرها المخزي وتكشف سترها أمامه .

اعتصر قلبها الألم والندم فاستجمعت قوتها ورفعت يدها وطرقت على الباب ثواني قليلة وانفتح الباب لتجد يد قوية تسحبها للداخل سيدة أربعينية تشدها بسرعة وأغلقت الباب

خلفها ، وقفت مرتعشة متصلبة فنظرت لها الممرضة بامتعاض ورمقتها بنظرات مقززة وهي تتفحصها من أعلى شعرها لأخمص قدميها وبنبرة اشمئزاز أمرتها أن تجلس حتى يحين دورها فالقائمة من أمثالها طويلة وعوجت شفتيها ومصممتها بشماتة . جلست مترقبة تكاد ضربات قلبها تكسر أضلاعها حاولت التنفس وتمالك أعصابها المنهارة .

نظرت حولها وتفحصت الجدران الباهتة التي تحوي مجموعة كراسي حديدية متهالكة وأرضية بلاطها متأكل ويغطى جزء منها سجادة متربة اختفت معالمها عليها طاولة خشبية في حالة مزرية عليها بضع مجلات يعلوها التراب وجلست ثلاث فتيات كل واحدة في زاوية يعم صمت مخيف وترقب يزيده الإضاءة الخافتة رعب .

لعنت نفسها وضعفها ألف مرة ولعنته هو ملايين المرات واعتصرت يديها وفركتهما ببعض بقوة وهي ترى نفسها تلك الفتاة الجميلة الرقيقة المتفوقة بالسنة الثالثة بالكلية الحاصلة على تقدير جيد جداً بالسنتين الماضيتين .

تجلس في المدرج سعيدة بالعام الدراسي الجديد وحولها الزميلات يتوددن إليها تساعدهن . كانت مستغرقة تشرح لزميلاتها بعض ما فاتهن من المحاضرة فاقترب منها وطلب أن ينضم لهن فاحمر ووجهها من الحرج فردت زميلة لها أننا مجموعة فتيات ولا نقبل انضمامك لنا فابتعد بخطوات خائبة وانتظر حتى انتهت من الشرح واقترب منها وطلب دفترها لينقل منه المحاضرة وهو أضعف الإيمان ، فهي لا تريد أن تشرح له . ترددت أن تعطيه له فترجاها حتى أخذه وفى اليوم التالي أعاده لها وشكرها بأدب وأخبرها عن احترامه لها وأنه يحتاج أن تشرح له بعض الأشياء الغامضة التي لا يفهمها ، وتعهد بأنه لن يضايقها أو يسبب ضيق لزميلاتها . و وافقت على استحياء فكان يجلس معهن ويستمع لها ويتعمد أن يبقى بعد ذهاب الفتيات لتشرح له ويترك بين طيات كتابها وردة وشكر وكلمات رقيقة وبعض الأشعار الرومانسية على طرف الصفحات وأصبح صديق لها .

أخبرها عن إعجابه بأدبها وأخلاقها وحمرة وجهها وطيبتها وكيف أنها صفحة بيضاء لا تعرف كيف تتكلم مع الشباب وأنها لؤلؤة نادرة .

أصبحا يتقابلان كل يـوم في الجامعـة وتفتحـت لـه فـى قلبهـا مشاعر الحب الطاهرة

ملامحك منقوشة في قلبي

وصورتك تملئ نفسي

أحببتك دون أن أدري

وكلما هربت هربت إليك

فعيونك ملاذي ووطني

أنت ملاك امتلكني

حب استباح كل جسدي

سحر سطع في سماء ليلي

معك نسيت نفسي واسمي

بعيدة حبيبتي ولكنك تسكنين حلمي

استوطنتي قلبي وروحي وعقلي

أعرفك قبل الحياة بحياة

obeikandl.com

وأحبك من قبل أن تبدأ الحياة

عاشق بائس يسألك الحياة

ولسانه صامت لا يقوى على التحدي

شعرت بنبض قلبها وسخونة تسرى في جسدها وهي تقرأ كلماته التي كتبها واختفى لأيام ليشغل بالها ولا تفكر في شيء سواه . . تسأل عنه وتريد أن تراه وكاد يغشى عليها عندما عاد تركت كل شيء لتلقاه ويومها اعترف لها بحبه ومحاولته أن ينساها ويبتعد عنها ولكنه فشل فحبها إدمان ليس له علاج يسري في كل قطرة في دمه لم تستطع أن ترى عيونه العاشقة ولا تعترف له هي الأخرى بحبها الذى ينبض في قلبها .

أصبحا متلازمين لا يفارقها بجوارها في المدرج والحافلة ولا يتركها إلا عند بيتها ويتصل عليها ليكون صوتها معه في كل وقت ومكان. وفى أثناء المحاضرة شعرت باقترابه الشديد منها حتى لامسها وامتدت يده لتلمس يدها .

شعرت برعشة جسدها وانتفضت ونظرت له بحدة ونهضت وبدّلت مكانها مع زميلتها وبعد انتهاء المحاضرة غادرت غاضبة

انتظرها وعاتبها وأخبرها أنها لا تحبه ولا ترضى قربه إنها تخدعه وانصرف وتركها شعرت بقلبها يعتصر على فراقه وذهبت لإحدى زميلاتها ليست مقربة منها فهي تصادق الشباب ولها أكثر من مغامرة كانت تبتعد عنها واليوم تقربت منها لتستشيرها فهي أعلم منها بأمور الرجال . وصارحتها بفعلته فضحكت وسخرت من سذاجتها فأخبرتها أنها ستخسره بعنادها ولمسة المحبين دواء .

وفى اليوم التالي حاولت مصالحته وأكدت علي أنها تحبه بل تعشقه ولكن لأنها لمستها الأولى فارتبكت وخافت

لا تخافي حبيبتي فأنت عشقي ودوائي

أعشقك أتنفسك فأنت روح فؤادي

روحي لكِ وهبتها وحياتي

حبيبتي تسكنين داخلي وتملكين كياني

لا تبتعدي اقتربي واسمعي قلبي الباكي

أحتاج قربك ولمستك تملأ فؤادي

أحتاجك وأريد لمستك تؤنسني في وحدتي

تركت له يدها لتغوص بكفه يضغط عليها تارة ويرسم عليها بأنامله قلب برقة ويلتصق بجوارها في المحاضرات ليطمئن بقربها أحبت لمساته على كفها وأمانه في قربها .

طاق للمزيد من قربها فأصبح يجلس بجوارها وتمتد يده لفخذها يمرر أصابعه بنعومة تدغدغ أعصابها ويلف قدمه لتحيط قدمها ويلصق جنبه بجنبها ويحرك يداه أثناء كلامه لتحتك ذراعه بصدرها مقصود و يبدو غير مقصود .

أصبحت لا تفكر إلا به ولمسته التي تخدر أعصابها وتجعلها تحلق في عالم العشق .

اعتاد لمس وجهها ويديها واحتضانها وكأنها حمى وسرت بجسدها . . نداء الجسد يتزايد يوماً بعد يوم .

كانت تجهل تلك المشاعر وتعيش ببراءة حتى انتهت المحاضرة فأوقفها وظل يتحدث معها حتى ذهب الجميع ولم يبق إلا هما فهمَّت بالرحيل ، سار بجوارها وفى لحظة دفعها للحائط ورفع يديها لأعلى وثبتها بقوة وضغط بجسده على جسدها حتى ألصقها بالحائط . كانت تقاومه ولكنه باغتها بقبلة عنيفة ألتهم فيها شفتيها واستمر في قبلته حتى شعرت بحلاوتها وتوقفت عن المقاومة وهو

يلتهم شهد شفتيها، وانزل يديه برقة يتلمس جسدها بحنان فائق فتخدر عقلها بلمساته وانطلقت مشاعر الرغبة والحاجة لقربه بداخلها لتتصارع مع تعقلها وحيائها.

فابتعد عنها ونظرت لعيونه التي تطلق الحب والعشق والرغبة وهمس في أذنها ولهيب كلماته يشعل جسدها ويزيده رغبة.

دعيني أقترب من شفتيك الناعمتين أرتشف حبك. عاشق حتى الثمالة فاروِني بقربك ودعيني أنقش إسمي على شفاهك الندية وأنعم بطراوتهما الشقية.

مغوية أنت حبيبتي بكرزتيك الشهيتين. اقتربي وانعمي بحبى وقربى وشغفي بك لا تترددى.. امنحيني قبلة بإرادتك تطمئن قلبي.. إنك تحبينني كما أحبك.

وبنعومة اقتربت من شفتيه ووضعت شفتيها عليهما برقة مرر لسانه على شفتيها يتذوق عسلهما فأثارها وشعرت بسخونة جسدها فاقتربت وتعمقت قبلتها وأحاطت رأسه بيديها بقوة ليتعمق أكثر وأكثر وهو يحتضنها ويدخلها إلى صدره لتلتحم به يمرر يداه على جسدها بتملك وقوة يعتصره بين يديه ليكونا جسدا

واحدا لا يفصلهما سوى ملابسهما التي كادت تذوب من حرارة شوقهما .

شعرت بأحاسيس جديدة تخلق بداخلها لذة ونشوى غلبت حيائها وخجلها وفازت بالضربة القاضية لتستسلم لمشاعرها التي تدفعها للالتحام معه . جسدها المشتعل يئن ويطلب لمساته ويستعذب أنفاسه التي تحرق وجهها . أول قبلة تنالها لم تعرف أن للقبلة مذاق عذب جذاب هيروين سيطر على حواسها لا تفكر إلا في القبلة وعسلها وارتشاف لهيبه المذاب فيه عشقه وجنونه بها .

ارتعاشه جسدها بين يديه يطالبه بالاستمرار والتوغل والتعمق حتى كادت بلوزتها أن تتمزق تحت وطأة يديه الطاغية التي تبثها الرغبة بالاحتواء والامتلاك ويروي ظمأه من شفتيها المسكرتين المتشبعتين بخمر الهوى .

تملك كل خلية بجسدها تشعر ببركان من المشاعر بداخلها يثور ولا تطفئه إلا رجولته . عالم آخر لا تعرفه تحلق في السحاب سعادة ينتفض بها الجسد وكأنهما وحدهما على غمامة سابحة في حديقة أرضها الورد وموسيقاها تغريد البلابل واقترب صوت الفراش

يفتح الباب . ليعودا للواقع ترتب شعرها المتشعث وملابسها التي عبث بها ووجها الأحمر وشفاها المتورمة من قبلاته المهلكة .

أدمنت لمساته المتوغلة على جسدها وقبلاته المسروقة تختفي معه في أحد الأركان ويشعلها بهمساته ويذيبها بلمساته علمها العشق والغرام وفنون الحب والجنون .

يجعلها تظمأ له كأنها تائه في صحراء ثم يرويها بقربه المجنون نظرات عينيه العاشقة الراغبة في تملك كل خليه بجسدها يصرخان بها دعيني أحبك وأغرق في بحر عشقك وأتحسس دربي بين منحنيات جسدك وأنهل من حلو شفتيك وتنهلي من نبضات قلبي يا من ملك أمسى ويومي وأرجو أن تكوني الغد ملكي .

شرارة حب انتقلت في قلبين واستقرت .

نار تزيد وتشتعل وكلما أطعمتها بالقرب والقبل طلبت المزيد والمزيد لا ينتهي .

يا جنة محرمة قفزت من فوق أسوارها واقتحمت وصرتُ أقطف كل يوم من ثمارها وثمارها لا تشبع الجائع بل تدفعه لقطف المزيد .

اعتصرت يديها بقوة وودت أن تتلاشى من الوجود وتكون نسياً منسيا لا تدرى كيف تحولت من الفتاة الجادة التي لا تتحدث بكلمة لشاب لحبيبة هائمة مدمنة لكلماته ووجوده ثم همساته وقربه فقبلاته واقتحامه الجريء لجسدها . أصبحت تعشق تفاصيله وبصماته على روحها وجسدها حتى أتبعته مسحورة ونسيت نفسها وأهلها وجامعتها وصارت خلفه كالمنومة مغناطيسيا .

هطلت دموعها كفيضان جارف كمشاعرها التي جرفتها إلى العيادة البائسة تحمل الألم والندم . مسحت دموعها بعنف وخللت شعرها بأصابعها وهي تكاد تقتلعه من ندمها كيف سحرها وطاوعته وذهبت معه إلى شقة صديقه الذي يعيش بمفرده لسفر والديه .

في المصعد أنفاسه الملتهبة تلفح وجهها وهمسه لها بالاحتياج دعيني أنهل من جسدك المرمر وأروى بذوري بماء حبك . جسدك يعذبني وأوشكت على الموت دونه دعيني أرسم على بشرتك جنوني اتركي العنان لمشاعرك لأذوبها بحرارة روحي العاشقة أرتشف العشق وأغرق في منحنيات فتنتك وأحلق بك لعالم لم تعرفيه بعد حبيبتي البريئة .

توقف المصعد وخرجا منه كانت ترتجف تسير بخطوات زاحفة وهو يحيطها بذراعه ليحثها على السير . يخفق قلبها من الخوف وتصلب جسدها عندما أخرج المفتاح وفتح الباب أمسكها من مرفقها ودفعها برقة لتدخل وأغلق الباب بخفة لكي لا يسمعه الجيران وقفت متجمدة لا تقوى على خطو خطوة همّت بالرحيل ولكنه عاجلها ووقف أمامها وعيونه تشتعل بالرغبة يتفحص وجهها الخائف ويطمئنها بهمسه أنها حبيبته وهو حبيبها ولن يؤذيها ولن يسمح أن تتأذى بسببه وأنه يعرف طهرها وأنه أول رجل بحياتها .

أشتعل شوقاً إليك . . نسيت النوم والطعام والمذاكرة هل ترضين موتى شوقاً إليكِ . . اروي ظمأي . . ارحميني ودعيني أطفأ ناري ولهيبي وتعود لي روحي المسكوبة بداخلك .

ولكن دمعة فرت من عينها ورجفة سرت في جسدها . مازال عقلها يصارع شغفها به يدفعها لتهرب من بين يديه فأخرج ورقة وقال أتزوجك الآن بهذه الورقة وعندما نتخرج سأتزوجك أمام الجميع في أضخم فرح .

كوني معي أحتاجك لا تتركيني وافقي واثبتي لي حبك .

فاضت مشاعرها وصرخ جسدها أحتاجه أريده أرغبه لم تعد تتحمل ألم عقلها فأسكتته بكلمة زواج هو زوجي اصمت عقلي أمسكت القلم وكتبت اسمها بجوار اسمه .

سحب منها القلم واقترب منها وهمس مبروك زوجتي مرر أنامله على وجهها برقة ونزلت أصابعه لتحرق بنعومة رقبتها ويديه أحاطت خصرها وقربها لجسده ولمس شفتيها برقة ومال بشفتيه وطبع قبلات رقيقة على شفتيها حتى ذابت آخر حصونها وبدأ جسدها يشعر بحرارة جسده المشتعل .

تعمق في قبلته الرقيقة وأخذها لمشاعر متقدة وبدأ يتحسس جسدها بلهفة ، رفع البلوزة ليلمس ظهرها العاري الناعم لمسة حلم بها ليالي طويلة وعندها سرت القشعريرة في جسدها وبادلته القبلة فابعدها وهي مشتاقة لشفتيه ثم هبط لجيدها ينشر عليه عشقه ويدغدغه بلسانه فتهاوت قدماها فحملها وأجلسها على الأريكة وبدأ بفك أزرار قميصها ببطيء وبرقة يرسم ملامحها العارية في قلبه ويشتعل وهو يخلع عنها قطعة قطعة ثم ينهال عليها بقبل ولمسات توشمها بملكيته وعشقه .

خدرتها لمساته واكتشفت جمالها في عينه وهـو يشـتعل بالرغبـة والشهوة لالتهامها ويمطرها بالإطراء . شعرت أنها على غيمة رقيقة تحملها في السماء . شعور بالعذوبة المخلوطـة بـالألم أيقظـت بهـا مشاعر الجنون فعبثت بأزرار قميصه وخلعته برقة ودفنت وجهها في صدره العريض تستنشق عطره وتسمع دقات قلبـه وتتـأوه وتناديـه وتقبله قبل صغيرة على صدره فرفع رأسها وألتهم شفتاها وغابا في عالم من الدفء واللذة .

مرت الشهور وهي تقوم بدور الزوجة العاشقة تسانده وتذاكر معه وتعيش له وتسعده وتغرقه بالعشـق والنشـوى تعطيـه كـل مـا يطلب ويتمنى وترافقه من حـين لأخـر لشـقة صـديقه أو يسـتأجر شاليه ساحلي أو شقة مفروشة أو حتى غرفة في فندق بلا نجوم وهو يلزم حذره حتى لا تحمل بطفل منه وينكشف أمرهما .

وأصـبح يـتحكم في أدق تفاصـيل حياتهـا ملبسـها ومأكلـها وتعاملاتها مع أهلها وأصدقائها حتى تخرجا والتحقت هي بالعمل وهو انتظر موقفه من الخدمة العسكرية يتنقل بين المهن وهي تنتظره وتدفعه وتهون عليه الأيام وتبث في قلبـه الأمـل لتحقيـق حلمهمـا

ويكونا زوجين في العلن تغذيه بحبها وتنسج له أثواب العشق بشغفها .

رفضت كل من تقدم لها، فهي لا يعنيها المركز أو المال يكفيها حبه وتمسكه بها ذلك الولع والشوق الذي يحييها فيه ويعلنها ملكة على عرش قلبه متوجة .

بذلت جهدها ليعمل معها بالشركة ليكونا معا كل يوم. كانت تظن أنها ملكت السعادة كلها واقتربت من تحقيق حلمها ولكنه تغير وأخذ يبتعد عنها ويتجنبها وطلب أن ينتقل لفرع آخر للشركة وأخبرها أنه في صالحها للحفاظ على سمعتها ومرت شهور تحاول الوصول له ولكنه أغلق هاتفه وأخفى عنوانه الجديد عنها.

تمر الأيام وهي تائهة لا تدرى ما الجريمة التي اقترفتها ليبتعد عنها . أليست قلبه وروحه وحياته ونفسه وأنفاسه ووجوده وذاته وكل شيء في حياته .

بحر هائج من الأسئلة التي لا تنتهي. أوجاع تحطم جسدها وعقلها بكاء لا ينقطع كل خلية فيها تصرخ تريد قربه واستنشاق أنفاسه.

يرى رقمها ويسمع نغمة اتصالها تزلزل قلبه ولكن لا يجيب عليها يتمزق قلبه وهو يعرف مدي انشغالها عليه وطوقها ليخطبها من أهلها بعد أن تخرج وأصبح قادر علي الزواج دفع مقدم شقة وسيساعده والده في نفقات الزواج ولكن عقله لا يراها زوجته .

فعقله يلح أن يتزوج من فتاة فاضلة لم يمسسها رجل كيف يتزوج من امرأة سلمته نفسها طواعيةً دون شرط ولا قيد وأعطته أغلى ما تملكه فتاة بورقة ليس لها قيمة كما أنها تكذب على والديها وتخون ثقتهما تخبرهم أنها بالجامعة وهي معه وتقول أنها في تدريب وهي ترافقه في فندق حقير .

صرخ قلبه هي الطاهرة البريئة التي ملكت قلبك وجرت في شرايينك حبها ولكن عقله أسكته هي عاهرة فاجرة قدمت نفسها بلا مقابل لم يغتصبها هي جاءته طواعية كانت بريئة كانت طاهرة وكان فعل ماضي نسخ طهرها .

دافع عقله ولكنه شريكها وهو مثلها بل هو من قادها وأسقطها في حبه سخر عقله هو رجل يفعل ما يشاء أما هي فتاة عليها أن تقاوم وتحفظ نفسها .

انتفض قلبه يقاوم والحب والعشق والهيام . . ما زلت أنبض بحبها وتسكنني صورتها وأعشق صوتها . تكلم العقل بهدوء للزواج مقاييس أخرى . حبها وعشقها كيف تشاء اجعلها عشيقتك في الظل وتزوج بغيرها ولا تهتم بساقطة ستجد غيرك وأنت تستحق قديسة فاضلة تصون عرضك وتحمل اسمك وتربى أولادك وتكون سبب فخرك وسعادتك .

لم تتحمل عندما علمت خبر خطبته لزميلتها التي استشارتها في الجامعة تعرف عليها وبهرته ببراءتها وطهرها وكيف نهرها الذى كان حبيبها ونعتها بأفظع الألفاظ. حاولت أن تذكره بحبه وعشقه وعيناها ولكنه أبى وأخبرها أنها أسوأ أيام حياته وتطهر منها . وعندما بكت وارتمت تحت قدميه تستعطفه لينقذ شرفها الذي أعطته إياه نظر إليها بمنتهي التقزز والاحتقار وألقى لها بورقة بها عنوان العيادة وبضعة مئات الجنيهات .

مازالت تنتظر دورها وهي تبكى وتنهمر دموعها وينفطر قلبها من خنجره الذي سدده إلى قلبها ولم يرحمه . عاقبني لأني أحببته أكثر من نفسي وأعطيته كل ما تمني . ينعتني بالخائنة لأنى خنته مع نفسه فيده الوحيدة التي لمستني وابتسمت بمرارة من بين دموعها

للسخرية كرهني لأنى موصومة بيده واستبدلني بـأخري موصـومة بعشرات الأيدي لغيره .

نادت الممرضة عليها حـان موعـد العمليـة مسـحت دموعهـا واستجمعت نفسها دقائق وتعود عذراء .

obeikandl.com